مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 7 (رت 69) السنة: 2022

طوبونيميا المجال الشلفي نهاية العصر الوسيط من خلال نصين مناقبيين

Toponymy of the area of Chlef at the end of the middle ages through the texts of the virtues

غنية عباسي[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
ghaniabassi@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/11/21 القبول 2022/10/12 النشر على الخط 2022/11/05
Received 21/11/2020 Accepted 12/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

إنّ اعتماد المقاربة الطوبونيمية في دراسة جزء من تاريخ مجال شلف، يتيح معرفة التنوّع الذي عاشه مجتمعه، والذي أبرزه اسم المكان، فدلالات الطوبونيميا عبّرت عن علاقة الإنسان الشلفي بجغرافية أرضه وبانتمائه الاثني، وارتباطه بشخوص الأولياء والفقهاء الذين أثّروا فيه، كما أنّ التنوّع اللغوي للطوبونيم بيّن التمازج المجتمعي والتقبّل للثقافة الوافدة.

لكن يبقى العجز في مجال بحوث تاريخ الاسم في الجزائر عموما بما فيه شلف والذي يرتبط بعلوم انسانية متعدّدة أحد المشاكل التي تعرقل أي عمل بحثي موسّع ضمن هذه المقاربة.

الكلمات المفتاحية: شلف، الخطاب المنقبي، الطوبونيميا، جغرافية المكان، القبيلة.

Abstract:

The adoption of the toponymic approach in the study of a part of the history of Chlef allowed me to know the diversity of its populations, what was indicated by the name of the place.

The indication of toponymy showed the relationship of the man in Chlef with the geography of his region and its ethnic origins and with saints and jurists who influenced them. As that the linguistic diversity of toponyms is shown the social mix and acceptance of expatriate culture; but the deficity in the field of research on the history of names in Algeria in general, including Chlef, which is linked to several human sciences, remains one of the problems that hinder any research in this approach.

Keywords: Chlef- the speech of virtues - toponymic- geography- the tribe.

[1] المؤلف المراسل: **غنية عباسي** البريد الالكتروني: **ghaniabassi@yahoo.fr**

1. مقدمة:

إنّ التطوّر التاريخي لدلالة العلَم الجغرافي يساعد في بناء معرفة متكاملة عن المجال الذي يحويه، لذلك عمدت إلى دراسة موضوع الطوبونيميا في المجال الشلفي من خلال اختياري لنموذج نصّي محلي يتمثّل في مؤلّفات الأدب المناقبي واعتمدت منها ما هو متاح بين أيدينا[1]، أي نص صلحاء وادي شلف أو " المناقب الشلفية"[2] لأبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت.833هـ/1429م–1430م)[3] والذي يمثّل اختصارا لمؤلّفه الآخر والأكبر حجما ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار[4]، بالإضافة إلى نص ثاني ينتمي إلى مرحلة انتقالية ما بين أواخر العصر الوسيط وبدايات الفترة الحديثة (القرن 10 هـ/ 16م) ونقصد به بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النّسب و الدّار" (ت:931 هـ/ 1521م أو 1524–1525م) [5] لمؤلّفه الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصبّاغ القلعي(ت: 10هـ/16م) [6].

يشكّل اعتماد هذا النوع من الأدبيات، صورة تمثيلية لما يمكن أن تعبّر عنه كتب التراجم من غنى معرفي في عدّة قضايا قد تكون غير متاحة في أجناس كتابية أخرى، والتي تساهم في الكشف عن خصوصيات الذاكرة الجماعية للمجتمعات المراد دراستها، وإن كانت تبدو للوهلة الأولى تتّسم بطابع النمطية على مستوى النص، فحضور الأماكينية في النص المنقبي الشلفي يجعل منه نصا توثيقيا للذاكرة الطوبونيمية في هذا المجال، وعنصرا هاما في هوية المنطقة، وهنا نجد أنفسنا أمام تساؤلات منطقية حول قدرة هذه الأدبيات على مدّنا بمعطيات ذات أهمية حول طبيعة الشكل الألسني لمواقعية شلف خلال مرحلة زمنية متأخرة وسيطيا، وهو ما سنعمل على

---

[1]- هناك مخطوطات أخرى لم يتم بعد العثور عليها مثل: " **حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه** "، عادل، نويهض، (1980)، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ص.281؛ حيث يذكر عدد من الباحثين أنّ هذا المخطوط مفقود، إلاّ أنّ هناك احتمال تواجده ببلدية مازونة أو أنّه ملك شخصي، ومخطوط **"فضل الفقر والفقراء"** لموسى بن عيسى المازوني الذي أشار إليه الأستاذ محمد فؤاد الخليل القاسمي في فهرسة المكتبة القاسمية (مخطوطات الشيخ محمد بنعزّوز القاسمي الحسني الهاملي بعين وسارة الجلفة، ضمن مخطوطات الشيخ سيدي المكي، وللأسف فإنّ هذه المكتبة لم تعد في متناول الباحثين)، محمد فؤاد الخليل، القاسمي، (2006)، **فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية (الجزائر)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ، ص.506، 521؛ بشير بن أبي بكر، ضيف، (2002)، **فهرست التراث الجزائري بين القديم والحديث (نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول)**، الجزائر، منشورات ثالة ، ص249.

[2]- أبو عمران موسى بن عيسى، المازوني، (2017)، **مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار**، سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.

[3]– أثّرت شخصية أبو عمران موسى بن عيسى المازوني في الحركية العلمية لمازونة التي ينتمي إليها، وقد جاءت ترجمته المقتضبة في نصوص عديدة مثل:
أحمد بابا، التنبكتي، (2002)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية**، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ص.482.
أحمد بابا، التنبكتي، (1989)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ص–ص.605–606.
أبو القاسم محمد، الحفناوي، (1982)، **تعريف الخلف برجال السلف**، بيروت–تونس: مؤسسة الرسالة–المكتبة العتيقة، ص.583.
إسماعيل باشا، البغدادي، (1955)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، استانبول، وكالة المعارف الجليلة، ص.480.

[4]– يشير الأستاذ الباحث عبد القادر بوباية إلى احتمال وجود نسخة من هذا المخطوط في خزانة الشيخ المهدي البوعبدلي ببطيوة.

[5]– أصل المخطوط موجود بمازونة ملك السيد هنّي محمد حفيد سيدي محمد بن عبد الرحمان المازوني.

[6]– عاصر مؤلف هذا المخطوط الشخصية المترجم لها، فوالده كان خادما للولي المليانى، وقد ضمّن مؤلفه بعض الإشارات حول جوانب من حياته.

تتبّعه من خلال إشكالية حضور تسمية المواقع الشلفية المهمّشة في المؤلفات الكلاسيكية، ومدى قدرتنا على استيعاب التطوّرات اللغوية والدلالية التي عرفتها مع نهاية العصر الوسيط.

2. العلَم المكاني من خلال أدبيات شلف المناقبية:

إنّ هذا النوع من الأدبيات يمثّل نموذجا للنصوص التي جمعت بين المتخيّل في سردها للحدث الصوفي والواقع في رواياتها عن شخصيات مرتبطة بزمان ومكان محدّدين، وهذا المزيج يساعد في تطويع هذا النوع من النصوص في مجالات بحثية مختلفة، لذلك انسقت نحو هذا الموضوع الذي يوثّق لهوية المجال من خلال مجموعة اسمية للعناصر الجغرافية المكوّنة له والتي وردت في سياق عرض للفعل الكرامي لأوليائه، فتراجم الأولياء التي يفصح عنها الخطاب المنقبي يلازمها تفاعلهم مع محيطهم الجغرافي الذي يترك صدى لدى عامة وخاصة المجتمع من خلال وجودهم وتأثيرهم فيه، لذلك فحضور المكان الذي يمثّل مجالا للتبرّك بحسب رؤية هذا النوع من الأدبيات ضرورة عملية في البناء الصوفي فهو يثبّت الكرامة للصلحاء المترجم لهم أكثر في ذهنية المجتمع الذي ينتمون إليه.

والاهتمام بالأعلام الأماكينية أو الطوبونيميا المحلية (Toponymie locale) أيا كانت نوعية النصوص التي تتيحها يساهم في التعرّف على معالم مرتبطة بالمجال الجغرافي الذي تنتمي إليه وتاريخه، فاسم المكان هنا مرتبط بزمان ومجال محدّدين وجماعة بشرية معيّنة، ممّا يجعله مساهما في التعريف بثقافة المجتمعات وتراثها اللغوي الذي تحتفظ به الذاكرة الجماعية خاصة تلك التي تفتقر إلى المادة الوثائقية كما هو حال المجتمع الشلفي الذي تسوده الثقافة الشفوية، لتكون اللغة هنا مصدرا لمعطيات قد لا يجدها الباحث في النصوص التقليدية.

ينطلق كاتبا النصّين من مشاهد حسّية وذاكرة جماعية كوّنت أساس مؤلفيهما، الأمر الذي انعكس بشكل واضح على دقة تأريخهما لجزء من أماكينية مجال شلف الواسع، حيث أنّ جغرافيته المتنوّعة تستدعي استنطاق أسماء أعلامها ودلالاتها واستمرارية وجودها أو اختفائها وعلاقة الانسان بها، لمعرفة أصل الطوبونيم مع مراعاة مختلف الأشكال القديمة والحديثة التي ارتبط بها، وذلك نتيجة التطوّرات الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي تكون قد أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تبدّله عبر العصور[1].

وقبل التفصيل في هذه الإشكالية قمنا بانجاز جدولين أحصينا فيهما كل الطوبونيمات ذات العلاقة بالمجال، حيث ضمّناهما بعض المقتطفات النصّية التي تبيّن موضع ورود العلَم المكاني على مستوى النص المنقبي.

الجدول 1: (الطوبونيمات من خلال المناقب الشلفية للمازوني الأب)

الطبونيم	بيان وروده من النص	الصفحة
شلف	"...وطرفا ممّا تحصّل لديّ من مناقب غيره من صلحاء شلف..." "...ولما أنهي لعبد القوي بن العبّاس التوجيني أنّ ذخائر مغراوة حصلت كلّها بزاوية الشيخ أبي يعقوب جاء بقبيله ومحلّته ونزل بشلف..."	53-198
ثغور فاتين	"...إنّ هذا المكان الذي تحوّل إليه الشيخ هو المعروف عندنا بثغور	107

[1]– Foudil Cheriguen : toponymie algérienne des lieux habités, p.40.

	فاتين..."	
تاعشوشت	"...انتقل عنه للموضع الذي قبضه الله فيه وبنى فيه خويمة وهي المسماة تاعشوشت..."	107
أزرو	"...بأزرو قبلة جبل وافرشان..."	107
جبل وافرشان	"...أنّه قال لإمامه سيدي عزّوز سر بنا لكهوفنا بجبل وافرشان..."	107-112-124-166
مازونة	"... الشيخ الفقيه الصالح سيدي عزّوز المدفون عندنا بمازونة..."	108-196-286-404
مسجد أبي ماتع	"...بركن مسجد أبي ماتع..."	109
جامع سيدي عزّوز	"...وصار الناس في هذه الأواخر القريبة يقولون جامع سيدي عزّوز لما ظهر لهم فيه بسببه من البركات"	109
وادي رهيو	"...فإنّه لما توجّه إلى المشرق و أتى بالموحدية أدركته منيته بخناق وادي رهيو..."	133-144-145-403
وازني	"...فنزل بمحلاته بأعلى خناق رهيو بالموضع المعروف الآن بوازني..."	133
أبو عتّو	"...فسمّي ذلك المكان الذي مات فيه أبو يحي واستخلف فيه ابنه عثمان أبو عتّو وبقي هذا الاسم عليه إلى الآن..."	144
جبل وانشريس	"...وكان الحاج عيسى فاضلا متخلّقا... وقبره بمقبرة من جبل وانشريس مشهور..."	145-154-336
مسجد كركار	"وحكى لي جماعة من أفاضل طلبة مكناسة وبعض حفدة الشيخ...قال الشيخ لإمامه سيدي عزّوز سر بنا لمسجد كركار..."	157
خندق تيسكريوين	"...وكان ابنه عبد الله من الفضلاء الأخيار، أقرّ له أبوه بالسّبق في خدمة الحق، مشى معه يوما في الخندق المعروف الآن بتِيسَكْرِيوِين..."	178
تيزي	"...جاءه الشيخ بنفسه لمحلته وكان نازلا بظاهر مازونة بالموضع المعروف الآن بتيزي..."	196
تيزي إن يغراسن	"...فقال له: يا عبد القويّ، يا عبد القويّ، وكرّرها...فما وصلوا للمكان المسمّى بتيزي إنْ يَغْراسَن..."	198
مجشر أبي حرش	"...فما وصلوا به إلى مكان تحت مَجشَر أبي حرش حتى مات"	198

أزمّور	"...فممّا ذكر شيخنا الأستاذ أبو زكريا عن الشيخ سيدي أبي يعقوب أنّه اجتاز عليه شاب ورأسه يقطر حنّاء...يا بنيّ أين عملتها؟ فقال: يا سيدي بأزمّور... "	280
بني حلوان	"ومناقب الشيخ سيدي أبي يعقوب...وقبره ببني حلوان بساحل مازونة مشهور متبرّك به..."	286
تنس	"أخبرني الأستاذ أبو زكريا يحي بن علي أنّ رجلا من أهل تنس...	287-288-293-336-337-389
جبل بيسة	...فولّى وصلّى معهم العصر بجبل بيسة... "	293-299-336
تيمزوغت	"...بين تنس وتِيمْزَوْغَت... "	293-294
بوحوّى	"حدّثوا عن أخيه سيدي يعقوب عنه أنّه كان جالسا بموضع يسمّى بوحَوَّى..."	390
الملاح	"...فلمّا نزل بالملاح..."	402
مكناسة	"...فجاء بعض الخدّام بذلك لمكناسة..."	402-403-404157
مجشر أبي علوفة	"...فجاء لمازونة وسكن بمجشر أبي علوفة..."	404
مسجد أبي علوفة	"...فشاء الله أنّي كنت بين يديه يوما بإزاء مسجد أبي علوفة..."	404

المصدر: المازوني، 2017.

الجدول 2: (الطوبونيمات الشلفية من خلال نص بستان الأزهار للصبّاغ)

الطوبونيم	بيان وروده	الصفحة
القلعة	"...وقد أخبرني الطالب الأجل محمد ابن علي المصراتي أنّه...لبعض من ينتمي للفقه في قلعتنا..."	5-11-12-21-22-77-92-207-308-309-317-320-322
هوارة	"...فإنّي لما رأيت أهل قلعتنا وساير مجاشر هوارة..."	6-65-322
رأس الماء	"...فقال لي ادخل الخلوة ولا ترد ما يعطاك ثم اذهب لأهلك في راس الماء... "	8-10-13-36-64-94-101
أم العساكير	"...ثم بعد ذلك سرت أمشي أصلي في سوق أم العساكير..."	948

وطن بني راشد	"...أنّه كان جالسا في موضع يقال له راس الماء من وطن بني راشد..."	10-36-101-105
تاشعبانت	"...وكان ابن هند قاطنا بموضع يقال له تاشعبانت بالقرب من قلعتنا..."	11
الاجراف الحمر	"...فوجده في موضع يقال له الاجراف الحمر من وطن شلف..."	14
وطن شلف	"...فوجده في موضع يقال له الاجراف الحمر من وطن شلف..."	14
بني كثير	"...فذهبا إلى موضع باعلا بني كثير فيه ديس كثير..."	18
مصراتة	"...سيدي يحي المغراوي القاضي الان بقرية مصراتة..."	19-66-74-75-76-128-129-214-307-317-318-330-331
وطن بني وغدوا	"...وارتحل مشرقا إلى موضع يقال له يلل وطن بني وغدّوا من وطن هوارة... "	36-214
مناسن	"...ما حدّثني به السيد الأجل عمر بن عبد الجبار الصبحي النسب المناسني الدار..."	63
مستغانيم	"...حين قراءتي عليه بجامع الخندق من مستغانيم..."	63-107-205
باب الجراد	"...في زاويته التي كانت بازاء باب الجراد من بلد مستغانم..."	64
مليانة	"...قال لي ذهبت مع الزيتوني مع أخي سيدي محمد الملّقب افغول إلى مليانة..."	65–100-124-317
سرات/ وادي سيرات	"...قال ذهبت أنا والشيخ سيدي أحمد لسرات فوجدنا وادي سيرات حاملا حملة عظيمة..."	66-68
شلف	"...أنّ ذخائر مغراوة حصلت كلّها في زاوية الشيخ سيدي أبي يعقوب فجاء بقبيله ومحلّته ونزل بشلف..."	68-90-91-104-323
منداس	"...أن أغار الأدغم وحمر السبيب على عكرمة بعض أعراب منداس..."	90
تيزان يغمراسن	"...فما وصلوا المكان المسمّى تيزان يغمراسن..."	91
أبي حرش	"...فما وصلوا به إلى مكان تحت أبي حرش حتى مات..."	91
سوق السبت	"...وقد وقع مثل هذه الحكاية في قلعتنا حرسها الله لولي الله سيدي صالح بن علي الذي ضريحه الان بقية بأعلا سوق السبت من القلعة المذكورة مع أمير وقته وذلك في القرن السادس..."	92

جبل وافرالشان جبل وافرشان	"...لسيدي أبي البيان سيدي واضح بن عاصم المكناسي المدفون الان بجبل وافرالشان " "...ومنهم ابو البيان واضح بجبل وافرشان... "	93-94-134-135
نهر مينة	"...أتى رجل بدابة عليها حمل ثقيل من الجزاير إلى نهر مينة... "	101
بطحاء هوارة	"...ومثل هذا حكي عن الشيخ الصالح سيدي عبد الهادي الذي ضريحه في بطحاء هوارة..."	103-138-170-171-207-328
البطحاء	"...فذهب سيدي محمد بن عبّو وتلميذه المذكور إلى قرب البطحاء..."	104
تانصرت	"...حين كان الشيخ في تانصرت موضع بالقرب من مازونة..."	128
مازونة	"... حين كان الشيخ في تانصرت موضع بالقرب من مازونة..."	63-128
جبل بيسة	"...ثم رجع وصلا معهم العصر بجبل بَيْسَة بين تنس وتِيمَزْوَغْتْ..."	130
تنس	"...ثم رجع وصلا معهم العصر بجبل بَيْسَة بين تنس وتِيمَزْوَغْتْ..."	130
تيمزوغت	"...ثم رجع وصلا معهم العصر بجبل بَيْسَة بين تنس وتِيمَزْوَغْتْ..."	130
ثغر فاتين	"...وقالوا أنّ هذا المكان الذي تحوّل إليه الشيخ سيدي واضح هو المعروف عندهم بثغر فاتين... "	132
تاعشوشت	"...انتقل عنه للموضع الذي قبضه الله فيه وبنا فيه خويمة وهو الآن المسمّى بتاعشوشت قبل جبل وافرشان... "	132
قلعة ميمونة	"...أنّ سيدي عليا والد سيدي يحي كان يسكن في موضع يقال له قلعة ميمونة..."	139
تيسكريوين	"...إلى ذات يوم مشا معه في الخندق المعروف الآن بتيسكريوين..."	140
يلل	"...ومثل هذا وقع للولي الصالح الغوث سيدي سعادة الذي ضريحه الآن في الموضع المعروف بيَلّلْ من اسفل وطن هوّارة..."	161
تلوانت	"...لعل هذا هو أبو عمران الذي ضريحه بقرية تَلِوَانَتْ أحد مجاشر هوارة..."	169
تمزغران	"...وممّا نقلته من خط الطالب علي بن العباس التمزغراني في مناقب تاج الأوتاد ومصباح البلاد سيدي أحمد بن يوسف الراشدي..."	206–207
عين محفوظ	"...وكان السيد الشريف المذكور في مغارته بموضع يقال له عين محفوظ بل فوقها بالقرب من قلعتنا..."	309
تافسرا	"...فقال اذهب لموضع كذا بقرب مجشر تَافَسْرَا من مجاشر هوارة..."	318

مجشر السوخ	"...في معركة الأتراك والنصارى الواقعة بمجشر السوخِ من حومة القلعة..."	321
غريس	"...وابن أبو يلولة هذا لم يعلم به أحد لولا الفضلاء من أولياء غريس موضع في بني راشد..."	322
تكرطوشن	"...وهو قرية تسمى تِكرْطُوشَّنْ من عمالة ام العساكر..."	327
المشارف	"...ومنهم السيد التقي الزكي الولي سيدي محمد بن عبد الله الكثيري كان يسكن الكهوف التي تحت مجشر المشارف من وطن بني كثير من حدود عين عيناش أحد سدس هوارة..."	328
عين عيناش	"...ومنهم السيد التقي الزكي الولي سيدي محمد بن عبد الله الكثيري كان يسكن الكهوف التي تحت مجشر المشارف من وطن بني كثير من حدود عين عيناش أحد سدس هوارة..."	328
قديدة	"...ومنهم السيد الصالح الزاهد العابد سيدي موسى القَدِيدِي كان رحمه الله من علماء الأولياء من مجشر قَدِيدَة أحد مجاشر قلعتنا..."	331
تيزغت	"...في موضع يقال تِيزغَتْ من وطن أولاد علي من عمالة قلعتنا..."	335
اولاد علي	"...في موضع يقال تِيزغَتْ من وطن أولاد علي من عمالة قلعتنا..."	
بني مناسن	"...وقد زرته بعد أن كان أعمى في مجشر بني مناسن أحد مجاشر هوارة..."	336
الزرادلة	"...وعرفني بولي خراز في قرب الزرادلة من وطن هوارة..."	337

المصدر: الصباغ، (غ.م).

3. قراءة في الطوبونيم الشلفي (عيّنة الدراسة):

نلاحظ من خلال معطيات الجدولين أنّ النصّين تضمّنا ما مجموعه 73 طوبونيما، منها 26 وردت في نص صلحاء وادي شلف والبقية تضمّنها النص الثاني، وإذا استثنينا المكرّر منها ونقصد بها الطوبونيميات التالية[1]: شلف- تاعشوشت- جبل وافرشان (جبل وافرالشان)- مازونة- تيسكريوين- تيزي إن يغراسن (تيزان يغمراسن)- أبي حرش- تنس- جبل بيسة- تيمزوغت- فاتين، نجد أنّ هناك 62 علَما مواقعيا تمثّل العيّنة الفعلية لهذه الدراسة.

وبقدر بسيط من التمعّن في هذه العيّنة نلاحظ أنّ غالبية التسميات ذات أصول محلية (والتي اصطلحنا عليها بالمجموعة الأولى)، مع وجود نمطين تسمويين آخرين (أي المجموعة الثانية) ارتبط أحدهما بالظاهرة التعريبية الكاملة للطوبونيم الشلفي، والآخر في إطار ما

[1]- الطوبونيميات التي أوردناها ما بين قوسين وردت في نص الصباغ بصيغة مختلفة عن نص المازوني الأب، ويحتمل أن يكون ذلك سببه أخطاء النسّاخ والتصحيف المصاحب لذلك.

اصطلح عليه بظاهرة التخضرم (le phénomène d'hybridation) بمعنى تفاعل مجموعة من الأنظمة اللسانية وتأثيرها على بعضها البعض واستحداث أسماء أماكن مخضرمة تحمل صفات نظامين لسانيين مختلفين تماما في طريقة النطق والرسم[1]، أي وجود طوبونيميات مركّبة من مصطلحين أحدهما محلي زناتي[2] والآخر عربي، مع التعريب الواضح لمجموعة من الطوبونيميات ممّا أحدث تغييرا صوتيا لأصل الاسم[3]، وقد قمت بتفصيل هذه المعطيات في الجدول التالي:

الجدول 3: (أصل الطوبونيمات الشلفية)

المجموعة الأولى	
الطوبونيم القديم والمحلي	شلف- تاعشوشت- أزرو- مازونة- تيسكريوين- تيزي إن يغراسن- أزمّور- تنس- تيمزوغت- مكناسة- وازني- تاشعبانت- مصراتة- يلل- مستغانيم- مليانة- سرات- منداس- تانصرت- تلوانت- تمزغران- تافسرا- غريس- تكرطوشن- تيزغت- الزرادلة
المجموعة الثانية	
الطوبونيم المخضرم	جبل وافرشان- مسجد أبي ماتع- وادي رهيو- أبو عتّو- جبل وانشريس- مسجد كركار- مجشر أبي حرش- بني حلوان- جبل بيسة- بوحوّى- مجشر أبي علوفة- مسجد أبي علوفة- ثغور فاتين- مجاشر هوارة- بني كثير- وطن بني وغدوا- وادي سيرات- نهر مينة- مجشر السوخ- مجشر المشارف- عين عيناش- مجشر قديدة- بني مناسن- أم العساكير.
الطوبونيم المعرّب	جامع سيدي عزوز- الملاح- القلعة- راس الماء- وطن بني راشد- الأجراف الحمر- باب الجراد- البطحاء- قلعة ميمونة- أولاد علي- سوق السبت- عين محفوظ.

نجد أنّ 41.93% من الطوبونيم الشلفي ينتمي إلى المجموعة الأولى، حيث أنّ شكلها التركيبي يشير إلى اختلافه عن الصيغ التركيبية لطوبونيميا المجموعة الثانية، خاصة مع ابتداءه بتاء المؤنث الدارج في اللغة الزناتية المحلية، ممّا يؤكد أصله (البربري)، بمعنى استمرار محلية التسميات المواقعية خلال الفترة الزمنية التي يؤرّخ لها النصّان[4].

في حين أنّ النسبة المتبقية فهي مقسّمة بين 38,71% طوبونيم مخضرم (زناتي/ عربي) و19,35% طوبونيم معرّب، أي اندماج مواقعية الشلف مع الظاهرة التعريبية التي عرفها المجال[5]، ما يعني أنّ خريطة الشلف بدأت تفقد شيئا فشيئا ارتباطها بكل ما هو قديم أمام هيمنة واضحة للثقافة الوافدة.

---

[1]- حبيب حاج، محمد، (2012،2013)، **أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان (دراسة مواقعية)**، أطروحة دكتوراه في علم اللهجات، قسم التاريخ وعلم الآثار (شعبة الثقافة الشعبية)، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، ص.27.

[2]- أو الشلحية بالتعبير الحالي لناطقي الأمازيغية بالشمال الغربي للجزائر.

[3]- عبد المالك، ناصري، (2012)، **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي (تساؤلات منهجية)**، ضمن كتاب: **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، مقدّمات في الفهم والمنهج والعلائق**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ص71.

[4]- لقد تبنينا في هذه الدراسة تعابير مثل: اللسان الزناتي، المنطوق الزناتي، اللسان المحلي، المنطوق المحلي وهذا انطلاقا من إشارات وردت في النص المنقبي الذي اعتمدناه.

[5]- أبو عمران موسى بن عيسى، المازوني: **المصدر السابق**، ص. 140، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي، الصبّاغ القلعي: **المصدر السابق**، ص.251.

4- معجم دلالي لجزء من الطوبونيم الشلفي:

لازالت العديد من هذه الكلمات المواقعية تتداول عند ناطقي اللغات البربرية بالشمال الإفريقي، وهو ما ساعدني على تكوين معجم لغوي بسيط (لاحظ الجدول أسفله)، معتمدين في ذلك على معطيات معاجم بربرية، وكذا على ما قدمه لي بعض الأساتذة المهتمين بالتراث اللغوي البربري، مع صعوبة التعرّف على معاني مفردات زناتية أخرى والتي يبدو أنّها ضاعت كمنطوق واستمرت فقط كطوبونيم[1] أو ارتبطت بتسمية قبلية بربرية[2] مثل: مكناسة، مصراتة، فاتين، هوارة، بني وغدوا[3].

الجدول 4: (معجم دلالي للطوبونيمات الشلفية)

الكلمة	معناها
تاعشوشت	تصغير لكلمة أعشوش وتعني البيت الواحدة[4].
أزرو	الجزء الصخري (المحجّر) من الأرض والذي يشرف على ما حوله[5]، أو الصخرة أو الجرف أو الجبل أو المنطقة المليئة بالحصى والأحجار الصغيرة[6].
تيسكريوين	جمع لكلمة تيسكرت وتعني الثوم[7].
تيزي إن يغراسن	الطريق التي تقع بين جبلين أو المسلك وجمعها هو تزا للدلالة على المسالك أو الطرقات أو الفج بين الجبلين[8].
أزمّور	نوع من شجر الزيتون تكون حباته صغيرة[1]، أو تعني عموما الزيتون[2].

[1]- لكن تبقى عملية مواصلة البحث عن دلالاتها مهمة.

[2]- هناك العديد من الإشارات لمثل هذه التسميات القبلية، ممّا يعني انتشارها في مجال الشمال الإفريقي.

[3]- وردت بصيغة أخرى وهي بني غدو: قبيلة أندلسية، ينظر:

Yacono Xavier : La colonisation des plaines du Chelif,T.I, p.194.

أو قبيلة بربرية، يراجع: بوركبة محمد: **جوانب من مخطوط " قلعة بني راشد" للشيخ أبي عمر بن عثمان، القلعي**، (2002-2003)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع.1، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، ص.105.

[4]- أبو عمران موسى بن عيسى المازوني: **المصدر السابق**، (هامش صفحة: 107).

[5]- محمد، كربوط، (1992)، **الأسماء الجغرافية كمنطلق لدراسة تاريخ التعمير والاستغلال الفلاحي بالأرياف المغربية: حالة محاط تاغيت بالأطلس المتوسط**، ضمن أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية: "الاسم الجغرافي تراث وتواصل"، المعهد الجامعي للبحث العلمي ومديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية، المحمدية (المغرب)، مطبعة فضالة، ص.115.

[6]- le P. G. Huygue dictionnaire kabyle français, p.214.

كما أنّ كلمة أزرو تنطق فيها الزاي مفخّمة، ويتم تمييزها بثلاثة نقاط، محمد، شفيق، أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية (نحو و صرف واشتقاق)، ص.6.

[7]- حسب أستاذ باحث في الأمازيغية، وبالنسبة لدلالة الكلمة المفردة يراجع: الأرضي، مبارك، (2008)، **المعجم الأمازيغي الوظيفي (عربي أمازيغي)**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ص.121.

[8]- يذكر الباحث الطوبونيمي فضل شريقن في دراسته للمواقعية أنّ كلمة " تيزي" تأتي في غالب الأحيان مفردة، وأحيانا أخرى مركّبة تقترن بأسماء أشخاص أو تضاريس أو نبات أو ماء أو حتى ألوان..Foudil Cheriguen : Toponymie Algérienne des lieux habités, p.156

Le P.G.Huygne : Dictionnaire kabyle français, p.302

تيمزوغت	تصغير لكلمة أمزوغ و تعنى الأذن[3].
تاشعبانت	يقصد به الاحتفال الذي يقام يوم 15 شعبان[4]
يلل	مشتقة من كلمة يليلي الأمازيغية والتي تعني نبات الدفلى وهي تحريف لكلمة يغزر نيليلي بمعنى نبات الدفلى[5].
تافسرا	تعرف في ظاهرة الاشتقاق باليد المبسوطة[6].
غريس	من اغريس ومعناها الجليد الأبيض أو الأرض التي يحل فيها الجليد من شدة البرد[7].
كركار	اشتقت كلمة قرقار أو كركار من اللفظة البربرية أقرقور أو أكركور التي تعني الجرف[8]، وهناك من يعرّف أكركور على أنّه الحجر المتراكم على شكل هرم أو الحجر الصخري الضخم أو الحجر الذي يغطي ضريحا أو قبرا[9].
السوخ	تعني السقي[10].

تبيّن هذه الدلالات أنّ اختيار الأسماء المواقعية في هذا المجال لم يكن اعتباطيا، بل ارتبط بحيثيات المكان[11] والزمان الذي نشأت فيه، كما أنّ التصنيف الطوبونيمي لعيّنة البحث (المبيّن في الجدول أسفله) تؤكد ارتباط الساكنة بما ميّز المكان طبيعيا وبشريا، فاستمد منها الصور التمثّلية والدلالية للطوبونيم، مع تسجيل أسماء مجهولة الدلالة ممّا صعّب علينا عملية التعرّف على أصلها اللغوي، لذلك فهذه العملية تستلزم استقراء مواد مصدرية مختلفة عن النصين الذين اعتمدناهما في دراستنا، وهو ما سيساهم حتما في إحياء ذاكرة المكان وإبراز قيمته في وعي الإنسان الشلفي، خاصة مع استمرار أغلب التسميات بالرغم ممّا عرفته من تحريفات سواء على مستوى رسمها أو منطوقها.

---

[1]- كلمة أزمور يكون حرف الزاي فيها مرققة، محمد شفيق: **المرجع السابق**، ص.6.

[2]- الأرضي مبارك، **المرجع السابق**، ص.122.

[3]- حسب أستاذ باحث في الأمازيغية.

[4]- حسب أستاذ باحث في الأمازيغية.

[5]- صافي، مجدوب، (2019)، **منطقة يلل من خلال المصادر والمراجع التاريخية**، (202ق.م-1830م)، الجزائر، دار الكفاية، ص-ص.17-20.

[6]- حبيب، حاج محمد، **المرجع السابق**، ص.137.

[7]- الأرضي، مبارك، **المرجع السابق**، ص. 22.

[8]- يعرف الجرف على أنّه السلسلة المتصلة من الصخور الشاهقة المنحدرة ، أو المنحدرات الحادة التي تأخذ اتّجاها عاما واحدا والتي يحدثها التصدّع أو التحات الذي هو تآكل سطوح الأراضي بفعل مياه الأمطار الغزيرة أو الرياح القوية، ينظر: حبيب حاج، محمد، **المرجع السابق**، ص.90.

[9]- محمد، شفيق، **حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ**، ص.25، للتوسّع أكثر في هذا المصطلح وأهميته في التراث اللغوي الأمازيغي ومدلولاته المختلفة يراجع ما كتبه: عبد الله صالح ترجمة، الحسين اسكان ضمن كتاب، **المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته**، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (مركز الدراسات التاريخية والدينية)، 2004، ص-ص.33-39.

[10]- حسب أحد الأساتذة الباحثين في الثقافة الأمازيغية.

[11]- محمد، البركة، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي- مقدّمات في الفهم- ضمن كتاب: **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية: مقدّمات في الفهم والمنهج والعلائق**، ص.33.

وما يلاحظ في المجال المغربي عموما أنّ معظم الأسماء تستمدّ أصولها في الغالب من الأشكال الطوبوغرافية، التضاريسة، الهيدروغرافية أو المناخية، أو يكون لها أصول مرتبطة بأسماء حيوانات أو حدث عابر ميّز المنطقة خلال فترة زمنية معيّنة، فالتوافد البشري المختلف حضاريا على نفس المجال جعل طوبونيمية المغرب تعرف تجاذبا قويا وصراعا بين الأسماء الأصلية والأسماء الوافدة ممّا سبّب تحريفها أو ضمورها لتعوّضها أسماء جديدة.

وفيما يتعلّق بها الجزء من المجال الشلفي فإنّ الاقتباس الاثنونيمي والأنتروبونيمي ميّز النمط التسموي بنسبة كبيرة (مصراتة– مليانة– منداس– مازونة– مكناسة– تيزغت– الزرادلة– هوارة– أبو عتّو– أبي حرش– بني حلوان– أبي علوفة– فاتين– بني كثير– بني وغدوا– أبي ماتع– سيدي عزوز– بني راشد– أولاد علي– ميمونة)، وهو ما سمح لنا بمعرفة انتماءات اثنية لساكنة شلف في زمن سابق حتما عن تاريخ كتابة النص المنقبي، كما حتّمت الجغرافيا وعناصرها[1] حضور تسموي بدلالات تضاريسية (أزرو– تيزي إن يغراسن– غريس– كركار – القلعة– البطحاء– غريس)، أو بدلالات نباتية (تيسكريوين– يلل– أزمّور)، وأخرى اعتمدت أنسنة الطبيعة بتسمية بعض المواقع بأسماء أعضاء بشرية (تيمزوغت– تافسرا)، وهو ما حاولنا تبيينه في الجدول التالي:

الجدول 5: (أسس تصنيف الطبونيمات الشلفية)

المواقع الكبرى(Macro- toponymie)	شلف– تنس– القلعة– مازونة– مستغانيم– مليانة– هوارة.
المواقع الصغرى(Micro-toponymie)	ثغور فاتين– تاعشوشت– تيزي ان يغراسن– أزرو– وازني– أزمور– تيمزوغت– الملاح– راس الماء– سوق أم العساكير– تاشعبانت– الأجراف الحمر– مناسن– سرات– منداس– سوق السبت– تانصرت– يلل– تلوانت– تافسرا– مجشر السوخ– غريس– تكرطوشن– مجشر المشارف– مجشر قديدة– تيزغت– مصراتة.
الأرونوميا(oronymie)	جبل وافرشان– جبل وانشريس– جبل بيسة– خندق تيسكريوين– البطحاء– أزرو– تيزي إن يغراسن.
الهيدرونوميا (hydronymie)	شلف– وادي رهيو– وادي سيرات– نهر مينة– عين محفوظ– عين عيناش.
الأودونيميا(odonymie)	باب الجراد
الأجيونيمية (l'hagionymie)	مسجد كركار
الأنتروبونيمية(l'anthroponymie)	أبو عتّو– مجشر أبي علوفة– مسجد أبي علوفة– قلعة ميمونة– اولاد علي– جامع سيدي عزّوز– مسجد أبي ماتع– مازونة– بوحوّى.
الاثنونيمية(ethnonymie)	بني حلوان– مكناسة– مجاشر هوارة/ بطحاء هوارة/ وطن هوارة– وطن بني راشد– بني كثير– مصراتة– أولاد علي– بني متاس– الزرادلة– وطن بني وغدوا– مجشر أبي حرش– ثغور فاتين– مليانة.

[1]– **نفسه**، ص.33.

لقد بيّن هذا التنوّع في مصادر تسمية الانسان الشلفي للمكان الذي ينتمي إليه مدى ارتباطه بعنصرين أساسين شكّلا بنسبة كبيرة محور التسمية لديه وهما: الجغرافية والقبيلة، ممّا يعني أنّ جزءا مهما من ذاكرة شلف الشعبية محفوظ فيهما، خاصة وأنّ العديد منها لازال حاضرا بشكل كبير في المنطقة، في حين أنّ التحوّل والاختفاء مسّ جزءا آخر بسبب التطوّر الحاصل في أصل الطوبونيم وتعرّضه للتعريب رسما أو نطقا أو هما معا كما هو واضح من خلال ما أوردناه من أمثلة، والذي ساهم في تحريفه وضياع منطوقه الأصلي وصعوبة تحديد دلالته الأولى.

5. قائمة المراجع:

01- التنبكتي، أحمد بابا، (2002)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية**، ، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

02- التنبكتي، أحمد بابا، (1989)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

03- المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى، (2017)، **مناقب صلحاء الشلف (مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار)**، سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.

04- الأرضي، مبارك، (2008)، **المعجم الأمازيغي الوظيفي (عربي أمازيغي)**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.

05- البغدادي، إسماعيل باشا، (1955)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، استانبول، وكالة المعارف الجليلة.

06- بوركبة، محمد، (2002–2003)، **جوانب من مخطوط " قلعة بني راشد" للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع.1.

07- حاج محمد، حبيب، (2012–2013)، **أسماء الأماكن الأمازيغية في منطقة تلمسان (دراسة مواقعية)**، قسم التاريخ وعلم الآثار (شعبة الثقافة الشعبية)، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان.

08- الحفناوي، أبو القاسم محمد، (1982)، **تعريف الخلف برجال السلف**، بيروت–تونس: مؤسسة الرسالة–المكتبة العتيقة.

09- شفيق، محمد، (د.ت)، **أربعة و أربعون درسا في اللغة الأمازيغية (نحو و صرف واشتقاق)**.

10- شفيق، محمد، (د.ت)، **حفريات في اللغة قد تفيد المؤرخ**.

11- ضيف، بشير بن أبي بكر، (2002)، **فهرست التراث الجزائري بين القديم والحديث (نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول)**، الجزائر، منشورات ثالة.

12- القاسمي، محمد فؤاد الخليل، (2006)، **فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية (الجزائر)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

13- كربوط، محمد، (1992)، **الأسماء الجغرافية كمنطلق لدراسة تاريخ التعمير والاستغلال الفلاحي بالأرياف المغربية: حالة محاط تاغيت بالأطلس المتوسط**، ضمن أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية: "الاسم الجغرافي تراث وتواصل"، المعهد الجامعي للبحث العلمي ومديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية.

14- مجدوب، صافي، (2019)، **منطقة يلل من خلال المصادر والمراجع التاريخية**، الجزائر، دار الكفاية.

15- مجموعة من المؤلفين، (2004)، **المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته**، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (مركز الدراسات التاريخية والدينية).

16- ناصري، عبد المالك، البركة، محمد وآخرون، (2012)، **الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية: مقدّمات في الفهم والمنهج والعلائق**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.

17- نويهض، عادل، (1980)، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

18- Cheriguene, Faudel, toponymie algérienne des lieux habités.

19- le P. G. Huygue dictionnaire kabyle français.

20- Yacono, Xavier , La colonisation des plaines du Chelif,T.I.